ومن عادة بني رومانوف انهم يشترطون بقـاء بناتهم على المذهب الارثوذكسي اذا تزوجنَ بغير ارثوذكسي ويشترطون عند زواجهم بغير ارثوذكسية لن تدخل زوجتهم في المذهب الارثوذكسي اولاً وهي عادة تدل – بقطع النظر عن العقيدة – على رفعة الأخلاق وكرامة النفس فان الدين كالعرض لا يتاجر بهِ

يوسف الخازن

المرء ودنياه

عرف القراء اننا نرمي في ما ننشره لكتاب مختلفين من اصقاع مختلفة الى جعل هذه المجلة مرآة تتجلى فيها حالة اللغة والافكار في جميع الامصار العربية . وفي المقالة الآتية التي جاءتنا من دار السلام وفي ما نشرناه قبلها لكتاب الزهور في العراق ما يصح أن يكون نموذجاً للاسلوب الانشائي والحركة الفكرية في تلك الربوع التي عاشت اللغة العربية فيها عصرها الذهبي :

حيـاة المرء في دنياهُ ركبٌ يجوب الارضَ في طولٍ وعرضِ
فتغويرٌ لهُ في أرض قومٍ وتعريسٌ له في غير أرضِ
وأيام الشهور هي المطـايا تحثُ السيرَ بعضٌ إثرَ بعضِ
وما عيشُ الفتى الاّ غرورٌ كظل زائلٍ او خفق ومضِ

يعيش ابن آدم في الدنيا وهو مغرور بزهوها ، وزهرتها . مشبوب الفؤاد بحبها ، طائر القلب اليها ، مشغول الخاطر بقطعها ووصالها ؛ يطلب منها الوفآء وهي تغدر بهِ ويتوسل الى قربهـا بكل وسيلة وهي تخدعهُ ، وتمنّيه بالوعد . « وما مواعيدها الاّ الاباطيل » !

ولو علم الانسان – أن الدنيا غادة عطبول ، وعاشق ملول . ان وصلت قطعت ، وان اعطت منعت . نعيمها بؤس ، وحلوها مرّ ، وراحتها تعب ، وبقاؤها فناء ، وعمارها خراب ، واهلها في خطر منها – ما ركن اليها بكله ، وما سعى لهـا كلّ

السعي ، وما بات وليس له من شغل شاغل سواها ، ولا ذكر الاّ ذكراها . . .

أيها الانسان الذي غرّه من الدنيا زخرُفها ، واطمعته امانيُّها ، واستغوته شهواتها ، واستغوته زينتها وطلاوتها ، وانطلى عليهِ محالها . اصغ السمع ، وعِ القلب ، الى وصف حال الدنيا وسيرتها مع أهلها ولا أظنك بمصغٍ ولا بواع . !

أيها الانسان إن الدنيا كما جاء وصفها في القرآن المجيد ولا ابلغ من ذلك الوصف شيء « كماء انزلناه من السماء ، فاختلط بهِ نبات الأرض ، فأصبح هشيماً تذروه الرياح ؛ وكان الله على كل شيء مقتدراً . »

بينما تراها مقبلةً عليك بنضرتها ، وبهجتها ، ليس لها بعل غيرك ، ولا دار سوى منزلك ، ولا نظرة الاّ اليك ، تراها بأسرع من لمح البصر قطعتك الوداد ، ومنحتك الصد والبعاد ، فانقلب سرورك حزناً ، وحلو عيشك مراً ، وصفو شرابك رنقاً كدراً ، وتركتك وحيداً فريداً ، في مفازة من ضنك العيش ، ووحشة الفقر ، لا مؤنس لك ولا متوجّع ، ولا ناصر لك ولا معين ، كمن جاءه الموج من كل مكان ، جفاك بجفائها الاصحاب ، وانكرك الاقارب والأباعد والأهل والجيران . وصارت كل خلة كانت لك في الغنى مدحاً ذماً

فأضحى الذي يودّ أن تكون لك حاجة عنده ، فيتقرّب اليك بها ويتشرف بقضائها يتشاغل عن ردِّ سلامك اذا ما سلمتَ عليهِ لا لشيء هناك بل وفاء منك بالودّ له ! فهو يترك واجباً ويفعل محرماً ، حذراً من ان تقول له قد بتَّ البارحة أنا وزوجي وأطفالي لا فراش لنا سوى التراب ، ولا غطاء لنا سوى السحاب ، ولا طعام لنا سوى الماء والهواء ، فهل لك ان تكرم عزيز قوم ذلّ ، وشريفاً حسبه الجاهلون غنياً من التعفف ؟

وأمسى الذي يوسط الواسطات الى الحضور بين يديك أكره شيء في عينه النظر الى وجهك . ولو في ليل ادلهمّت دياجيره ، كأنما ينظر اليك بعينين غير عينيهِ الأولين

وبات الذي كان يفتخر بمجالستك ، ومنادمتك في سفرك وحاضرتك يستنكف من جلوسك الى جنبهِ ، ولو في قفر من الأرض لا رائح فيهِ ولا غاد

وعاد الذي كان يسعى في حسن خدمتك من قبل ، أقبح شيءٍ يراه حسن خدمتك له ، فتراه يتأمر عليك ، ويتذمر منك ، ويحكم فيك حكم السادة على العبيد ، ولا يرى حقاً لنعمتك التي أسبغتها عليهِ فيما مضى كأن لم تكن شيئاً مذكوراً !

وراح الذي كان يتبرّك بلباس ثوبك الخلق ، يفرّ منك « فرار السليم من الأجرب »

وصار الذي كان يستنجدك في الملمات ، ويلجأ اليك في المهمّات ، يتربص لك الدوائر وينصب لك المكايد ، ويؤلّب عليك اذا استنجدته في الخلاص من ورطة وقعت فيها ، فاذا الذي يستنصرك بالأمس يستصرخك

أيها الانسان الذي غرّه من الدنيا ظواهرها ، وخفيت عليهِ بواطنها ، فقام لها على قدم وساق ، وشمّر لها عن ساعد الجد والاجتهاد ، واحبّها حباً اعشى بصره عن مساوئها ، وأعمه قلبه ، وخامر عقله ولبّه ، حتى استحوذ عليهِ شيطانها ، وأخذت بمجامع قلبه شهواتها . ويا أيها الانسان الذي يتفانى في حبّ الدنيا ولا يلهج الاّ بذكرها ، ولا ينشد الاّ ضالتها ، ولا يعرف الاّ إياها ، ولا ينظر الى سواها ، هلاّ اعتبرتَ بما عاملتْ بهِ تلك الدنيا آباءك المتقدمين ، وأجدادك السالفين ، أهل القرون الأولى والقوم الجبارين ؟ فكم أفنت من دول ، وكم أبادت من الملوك الأُول ، أرباب السطوة والسلطان ، والأسرّة والتيجان ، الذين عمروا فيها عمر نوح ، وملكوا ملك سليمان ، وبنوا بناء الاسكندر ، وطغوا طغوّ قارون ، وصالوا صولة النمرود ، وحكموا حكم القياصرة ، وعاشوا عيش الأكاسرة

أين أين الملوك أين الرعايا أين أين القوّاد للاجنادِ
أين أين البناةُ أين المباني أين من شيّدوا كذات العمادِ

أين اسكندرٌ وأين هِرَقْلٌ أين نمرود أين ذو الأوتادِ
أين قارون أين فرعون موسى أين كسرى وقيصر ذو الآدِ
أين من كتّبوا الكتائبَ للحر ب وصالوا بالمرهفات الحدادِ
أين من كانوا يحرصون على الما ل ومن كان كعبةَ القصّادِ
هــذه دورُهم تجيبك عنهم لو يجيب الجمادُ صوت المنادي
صرعتهم كأسُ المنون ولمّا يستفيقوا حتى ليوم التنــادي
وغدوا يُحملون من بعد عرش الـ ـملك في موكب على الأعوادِ
وغــدا ما لهم وما جمّعوهُ للأعادي إرثاً وللحسّادِ
وجفــاهم اخوانُهم وبنوهم وجميــع الحجّاب والقوّادِ
وثووا في القبور من بعد ما كا نوا بعالي القصور كالأطوادِ
واستقروا في ضيّق اللحد يا سـ ـعدَ مقرّ السيوف في الاغمــادِ
ورضوا بالتراب بعــد فراشٍ من حريرٍ موشّيٍ ووسادِ
جمعتهم دارُ المنون جميعاً وهمُ من قبائل وبلادِ
فغدا الضدّ يألف الضدّ طوعاً وغريبٌ تآلف الاضــداد
ومليك الزمان منهم له الدنـ ـدُ نديم بعد الحسان الخرادِ

فاذا كان هذا مسير الانسان ومصيره ، فينبغي للعاقل أن ينظر الى الدنيا نظر معتبر ، وان يجعل مقامه فيها مقام مسافر ، نزل دارها اليوم ويرحل عنها غداً . وان يحاذر منها كل الحذر ، لأنها عدوٌ في ثيابِ صديق ، وان يبذر فيها ما طاب غرسه ، وزكا أصله ، ونما فرعه ، وايتع ثمره ، وحلا ذوقه ، واعذوذب طعمه . لأنها مزرعة الآخرة ، والمرء يحصد ما زرع . وان لا يحزن على شيءٍ فاته منها ، ولا على شيءٍ انقطع عنه بعد ما اصابه منها ، بل ينبغي له أن ينزل ما اصاب منها ، منزلة ما لم يصب . لأن جوهرها عرض زائل ، وكسبها خسران مبين . وان لا يتزوّد من الدنيا الاّ

بقدر ما تمسّ الحاجة اليهِ . وأن يقنع بالشيء اليسير منها ، اذ لا شيء اغنى من القناعة . « ومن هضمَ دنيـاه وزهدَ فيها لآخرته ، لم يحرمهُ الله بذلك نصيبه من الدنيا ؛ ولم ينقصه من سروره فيها . » وان لا يبيع آخرته بدنيا غيره حتى ولا بدنياه

وينبغي للعاقل أن يستقرئ أخبـار السالفين وأعمالهم ، فيأخذ بالاحسان منها عملاً ، ويترك القبيح ، ويذهب مذهب من سلك طريقاً هداه الى الحق ، والى الصراط المستقيم ، ويتجنّب منهاج قوم يجرُّ ناهجه الى الضلال ، وسوء المنقلب . وان لا يكون غير ذي دين ، فان الدين رابطةُ الانسان بحلاله وحرامهِ ، وان لا يظن الاّ حسناً ، ولا يكون سيء الاعتقاد في الناس ، فان سوء الاعتقاد روح الفساد

وينبغي للعاقل أن لا يُبغّض الى نفسه عبادة ربه ، وان يساوي بين معاشهِ ومعاده ، وان لا يترك مجالاً لتفوق احـدهما على الآخر . وأن يعمل فيها عمل من يأمل أن يموت هرماً ، وعمل من يرجو أن يموت غداً . وان لا يفرح بالكثير من المال اذا ناله ، ولا يحزن لقلته اذا فقد الكثير منـه . وان يصنع المعروف مع كل فردٍ من ابناء جنسه . وان يجود على الناس بما وسع الله عليه من الرزق ، ويتحيّز فرصة نعم الله عليهِ ، فيتفضل بها قبلَ زوالها . لأن الغد ورآء الغيب ، والمرء لا يعلم من نفسه الاّ ماضيها وحاضرها . فهو في مستقبله كالأعمى السالك طريقاً وعراً في ليلة ليلاء ، لا يدري أينَ يضع قدمه ، في النار أم في البحر

وينبغي للعاقل ان يكون جلداً صبوراً اذا ما انتابته نوائب الزمان ، وطوارق الحدثان . وان لا يترك حاسديه يشعرون بما اصابه من المصائب . وان يكون ذا حزم واقدام ، وان لا يصدّه أدنى عائق يعيقه عما يحاوله من صعاب الامور . وان لا يتهاون بصغار الاشياء ولا يستعظم في عين كبارها . فان الصغار يلدن الكبار . ومن هاب الشيء العظيم خسر ما دونه

وينبغي للعاقل أن ينظر الى عيب نفسه ، قبل أن ينظر الى عيب غيره . وان

يغض طرفه عن عيب أخيه ولا يفاتحه بهِ مخافة أن يفاتحه بمثله . وأيّ الرجال المهذب

وينبغي للعـــاقل أن يتعلم العقل من المجنون ، والحلم من رأي السفيه ، وحسن الاخلاق من سيئها ، والعلم من الجاهل ، والأدبَ من السافل، والدين من الكافر .

وان يأخذ الوفاء عن غدر اللئيم ، والعبرة عن الدهر . واللبيب من اتعظ بغيره

وينبغي للعاقل تهذيب نفسه وتعويدها فعل الخير وكل ما ينفع الناس عامّة ، ورفض ما يضرُّ بهم

وينبغي للعاقل أن يكون صادق اللهجة ، حسن العشرة ، طلق المحيا في سرائه وضرائه . خفيف الطبع وقوراً وفيًّا ، تصدق اقواله وافعاله . وان يكون اميناً محبًّا للفضل وأهله ، منصفاً يتبع الحق حيث كان ، ويطلبه حيث وُجد

وينبغي للعاقل أن لا يعمل عملاً حتى يتدّبر عاقبة امره كيف تكون — فان كانت حسنة بادر اليه بلا توان ، وان كانت سيئةً وخيمة تركه بلا فشل وندم — فربّ احجام خير من اقدام

وينبغي للعاقل أن يكون سليم القلب واسع الصدر سمحاً صفوحاً ، محبًّا للسلم مبغضاً للحرب لأن الحرب داء قتال ، يفتك بالنفوس فتكاً ذريعاً . وان لا يبغي على أحد ، لأن البغي شر والشر يورث الدماء ، وان لا يعادي أحداً ، ولا يضمر سوءًا لأحد ، لأن المرء قليل بنفسه كثير بأصحابه

وينبغي للعاقل أن لا يحتقر صغيراً لصغره ، ولا يوقّر كبيراً لكبره ، اذ المرء بأصغريه أو كما قال ابو الحسن علي : «المرء مخبوء تحت طيّ لسانه لا تحت طيلسانه» وأن يأخذ الحكمة ولو نطق بها مجنون ويأخذ ما يوافق رأيه من قول غيره ، ولا ينتقد ما يخالف رأيه منه كونه خالفه . فلكل فردٍ من البشر رأي والكمال لله وحده

(بغداد) كاظم الدجيلي